## 8/1 - الخاتمة : -

انتبهت جل الدراسات التي تعرضت إلى المسألة البلاغية من قريب أو بعيد إلى أهمية الدور الذي كان لعلم الكلام والفلسفة في نشأة النظرية البلاغية في الحضارة العربية الإسلامية .

وكانت هذه الدراسات العديدة قد حكمت مجالات بحثها النص في مستوى تأويله، وفي مستوى إنتاجه . فبعضها يهتم بالنقد والبعض الآخر يهتم بالتفسير، وأخرى انصرف فيها أصحابها إلى دراسة مصنفات إعجاز القرآن وتقدير أثرها في حقول معرفية أخرى .

وقد كان " لعلم الكلام " متمثلاً في المعتزلة لهم دور في نهجهم في التأويل على أساس التمييز بين المحكم والمتشابه فالمحكم ما وافق أصولهم ، أما المتشابه فهو ما خالفها ، ولذلك فأن العلم بصفات التوحيد والعدل هو المقدمة الضرورية لكل تأويل بالنسبة لأهل الاعتزال ، وأهل السنة يرفضونه انطلاقاً من مبادئ عقدية .

وعلى ذلك يمكن أن نعتبر أن نشأة وتطور الدراسات البلاغية في الثقافة العربية الإسلامية إجمالاً أثرّ فيها " علم الكلام عند المعتزلة " .

حيث نجد أن نشأة البلاغة في الثقافة العربية قد خضعت إلى القاعدة التي خضعت لها في سائر الثقافات ، فقد كانت الفلسفة الرحم الحاضن للفكرة البلاغية ، وكانت النظريات البلاغية سليلة الاعتبار الفلسفي ووليدة عناية الفلاسفة ، ولذلك نستشهد بقول الدكتور امين الخولى[1] حيث يقول " أننا نرى البلاغة في جميع أدوارها قد عاشت في كنف رجال الفلسفة وتحت رعايتهم وجمهرة الأقلام التي خدمتها أقلام فلاسفة ولم يكد يتخلف في عصر ما .

ولذلك نجد ارتباط البلاغة بالفلسفة الإغريقية التي يعدها الغرب أصل حضارتهم ومنشأ لثقافتهم واضحاً وذلك عندما ظهرت الحاجة إلى البلاغة بعد انتصار الديمقراطية وإتاحة الفرصة للمظلومين الذين حرموا من ممتلكاتهم ، وكان الإقناع والقول البليغ أداة تمكنهم من بلوغ مقاصدهم . هكذا نجمت البلاغة عن تحول المجتمع من طور إلى آخر باعتبارها وسيلة لإبراز الحق والتعبير عن الرأي .

كان ذلك في الحضارة اليونانية حيث كانت الخطابة والبلاغة الوسيلة والأداة ، وكان دور الفلاسفة أن يقيموا أسسها ويدرسوا أساليبها على نحو يجعلها أداة " خلاقة للإقناع " وكان مؤسس الخطابة اليونانية أرسطو " في كتابه " الخطابة " واضعًا لقوانينها .

ولذلك أخذت البلاغة العربية منحي آخر غير التعبير عن الحس الجمالي . بل صارت نظرية القصد منها إبراز إعجاز القرآن وإكسابه خصائصه التي لازمته دائماً ، ولذلك فاللغة والأسلوب ومنحى إخراج القول كان من العناصر التي دعت أهل البلاغة إلى تحسس مسالكهم للخروج بالنص من جعله وسيلة إلى غاية التفسير والتعليل والاستدلال في مرحلة تالية لبيان إعجازه . ولذلك كانت بيئة المتكلمين وبصفة خاصة المعتزلة من البيئات التي مثلت رافداً أساسياً من روافد التفكير البلاغي في الحضارة العربية الإسلامية . وقد

---

[1] أمين الخولى ..مناهج تجديد في النحو والبلاغة ط 1 مصر دار المعرفة 1961 ص 145 .

أثمرت الدراسات في إعجاز القرآن من المنطلق العقائدي والفلسفي أهم نظرية في تراثنا البلاغي هي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني .
أما على مستوى النص فقد أثمرت دراسات المعتزلة في تأويل النص القرآني التي تبدو في ظاهرها مخالفة لمعتقدهم تأويلاً يصرف القول عن دلالته الظاهرة إلى دلالة اخفى ينتقل فيها القول من المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي " المعاني الثانية وراء النظم " .
ذلك نبه إلى أن البلاغة لم تكن من علوم الوسائل وإنما صارت غاية تساهم في مقارعة الخصوم ومجادلتهم بالعقل والحجة ، ولذلك يعتبرون تعلم البلاغة غاية لأنها تخدم الجانب العقائدي عندهم .
ولذلك نجد الدرس البلاغي تأثر بأبرز النظريات والمفاهيم التي تولدت عنها نظرية " المواضع " ومفاهيم " المنفعة " وهي فكرة سفسطائية وربط " المقام بالمقال " ومراعاة مقتضى الحال " وهي فكرة أرسطية " قامت عليها الخطابة اليونانية كما سبق أن ذكرنا في تحليلنا لكتابي الخطابة والشعر لأرسطو . ولعل كل ذلك استفادت منه البلاغة العربية استفادة قصوى، وقد ظهرت في كتابات الجاحظ في البيان والتبيين والحيوان ، ولعل صحيفة بشر بن معتمر أوضح دليل لهذا التأثر ، وقد تعرض لها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين[1] في هذا البحث حاولت محاولة جادة رصد كل التأثيرات والمتغيرات التي طرأت على البلاغة العربية ، وإظهار نقاط الالتقاء بين المفاهيم والمصطلحات الفلسفية اليونانية والبلاغة العربية .
بدءاً بالجاحظ " القرن الثالث وإنتهاءاً بالسكاكي التي اتسمت مرحلته بالجمود " القرن السادس مستعرضة كل التطورات التي حدثت في بنية البلاغة العربية التي انتقلت من طور الحس الجمالي إلى التفسير وارتباطه بالفلسفة والبلاغة وفلسفة النحو ، ثم جهود اللغويين والبلاغيين في القرن الثالث للهجرة والتي كانت بدايات لدراسة المجاز في القرآن .

## 8/2- النتائج : -

1- تحتل المؤثرات الأجنبية دور كبير ومكانة هامة في الدراسات البلاغية المعاصرة .
2- نعزي تأثر البنية اللغوية العربية بجانب الأسباب التاريخية إلى عامل حضاري حيث اتصلت الثقافة العربية بثقافات شعوب أخرى مجاورة لها مما جعل البيئة الثقافية غير خالية من عناصر فكرية أجنبية .
3- أولى المؤلفات التي يمكن أن تعد من صميم البلاغة تنتمي إلى نهاية القرن الثالث وبداية الرابع ، وهي فترة صادفت ازدهار حركة الترجمة ونقل الفكر الأجنبي اليوناني خاصة إلى اللغة العربية – إما مباشرة أو عن طريق اللغة السريانية . زيادة على ذلك نجد أن التراجمة وقعوا على كتب لها علاقة مباشرة بمشاغل البلاغة وهما كتابا الخطابة " والشعر " لأرسطو . وقد عكف العرب على ترجمتهما وتلخيصهما .

---

[1] الصحيفة في كتاب البيان والتبين للجاحظ ص 103

فكان كتاب الخطابة معروفاً في نهاية القرن الثالث اعتماداً على رواية ابن النديم في الفهرست كما اشرنا إليها سابقاً[1] والتي تشير إلى النص العربي لهذا المؤلف والذي كان معروفاً في أواخر القرن الثالث . وأن الاهتمام به تواصل إلى فترة متأخرة[2] .

وكذلك عرف العرب كتاب الشعر لأرسطو والذي يشير إليه ابن النديم في الفهرست بمختصر وضعه رأس الفلاسفة،بالإضافة إلى أشارات أخرى وردت في بعض المصادر العربية تنسب إلى إسحاق بن حنين ترجمة هذا الكتاب .

مما سبق نستنتج أن كتابي " الخطابة والشعر " كانا مترجمين في فترة شهدت بوادر التأليف المستقل في فن البلاغة مع كتاب البديع لابن المعتز ، ونهجاً لنقد الشعر لم نصادف مثله في المحاولات السابقة يتمثل في كتاب " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر .

4- من السياقات النصية التي تثبت تأثر البلاغة العربية بالفلسفة اليونانية ما نجده في سياق كتاب " الحيوان " للجاحظ حيث أشار أكثر من مرة في مواطن مختلفة وفي سياق اهتمامات متباينة إلى مصادر أجنبية ، وبالإضافة إلى ذكره لكتب أرسطو وأفلاطون، وقد ذكرت ذلك في حديثي في " فصل الأفكار الفلسفية الدخيلة " ولعل أستشهد بذلك بما ورد في النقد الأدبي الحديث للناقد محمد غنيمي هلال[3] الذي ذكر نصاً للجاحظ يقول فيه " " أن الترجمان لا يؤدي أبداً ما قال الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدي الأمانة فيها ، فهل كان رحمه الله تعالى – ابن البطريق وابن ناعمة وأبو قرة وابن فهر وابن وهيلي وابن المقفع مثل أرسطو طاليس[1] ويستفاد من كلام الجاحظ نفسه أن كتاب فن الشعر لأرسطو كان معروفاً له ، وفي موضع آخر يعيب الجاحظ على مترجمي أرسطو من العرب فيقول " لعله أرسطو " إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة" "يعني يشهر به[2] " هذا يدل دلالة واضحة على معرفة الجاحظ لأرسطو أنه أطلعٌ على كتبه فقد أشار في الحيوان في تاريخه لميلاد الشعر إلى كتب أرسطو طاليس وأفلاطون . وبطليموس وديمقراطيس فقد يبدو إيراد هذه الأسماء غريباً لأول وهلة ،ولكن بتنزيل النص في الكتاب نفهم أنه يحتج للكتاب على الرواية ويبين فضله في الحفاظ على التراث وتثبيته[3] .

وبالرجوع إلى النصوص التي أوردناها نجد الصلة واضحة بين العبارات الأجنبية وخاصة اليونانية وبين الثقافة العربية متمثلة في بلاغتها .

ولو قررنا هذه الصلة فلا بد أن ندرك تماماً أن الفكرة إذا نقلت فهي لا تضير الامة الحية ، لان الفكرة إذا وصلت إلى درجة القاعدة عدت من الأمة و الإنسانية . ومن مجهود العقل البشري عامة فالعرب أخذوا من

---

(1) أنظر البحث ص .

(2) يجمع الباحثون على أن أوضح صورة لاستغلال ما جاء في هذا الكتاب وكتاب الشعر تقع في القرن السابع عند حازم القرطاجنبي (684هـ) في كتابة مناهج البلغاء و سراج الأدباء د. تحقيق محمد الحبيب بالخوجة – تونس 1966 .

(3) النقد الأدبي الحديث 153 هذا الض في كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق شرح الاستاذعبد السلام هارون ج 1 ص 75 ـ 76 .

(1) النقد الادبي الحديث ص 153 هذا الض في كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق وشرح الاسند .

(2) عبد السلام هارون ج 1 75ـ 76

(3) الجاحظ : الحيوان 1/74 .

اليونان ومن الفرس ومن الهنود ولكن حددوا ما أخذوه وبسطوا وعقدوا يثبت لهم شخصيتهم العقلية فيما أخذوه إما بالزيادة أما بالنقص وقد فعل العرب ذلك في بلاغتهم زادوا على الابواب التي عرفوها عند أرسطو . ولم ينقلوا إلى بلاغتهم إلاّ ما أتفق مع آبهم فلو سلمنا أن الطباق يوناني لأنه مبنى على التضاد والتضاد منطقي . وإذا كانت المقابلة يونانية لأنها مبنية على التشابه والدلالة والتشابه بالمثل دلاله منطقية يعرفها أرسطو وإذا كان الجناس يونانية لأنه مماثلة ولأنه تلاعب بالألفاظ ، وإذا كانت الاستعارة نفسها والتشبيه نفسه يونانيين لأن الأولى خروج بالألفاظ تحت تأثير الانفعال ولأن الثاني دلالة طبيعية يعمد إليها للإنسان . فأن هذه المعاني زيادة على أنها إنسانية وحيوية في كل لغة نتجه إليها الأذهان الحية إذا وجد في طابعة اللغة وفي حيويتها ما يساعد على ذلك ، فليس هناك ما يمنع من تطور للأفكار نحمد العلم مسايرة الأفكار والرجوع بها إلى منابعها الأولى . وفي هذه الدراسة عودة إلى حياة العلم وبعثه وكذلك النشور .

## 8/3- التوصيات : -

1- الملاحظات البيانية لم تتسع إلا في العصر العباسي الأول بحكم التعميق في الحضارة وفي الحضارة الثقافات الأجنبية وإتقان الموالي للعربية وهذا يعد مؤشراً لتوافق الثقافة العربية وامتصاصها للثقافات الوافدة نتيجة للترجمة .
2- الاهتمام بالبديع وهو ضرب من التحديدات التصويرية والمحسنات اللفظية والمعنوية وهذا يعد مدخراً لاهتمام اللغويين والنحويين في تعليم الشباب الأصول اللغوية والنحوية من خلال الشعر بالتعرض لبعض الخصائص الأسلوبية والبيانية .
3- أهتم المعتزلة بتلقين الناشئة كيفية الرد على الخصوم وإحسان البيان وصياغة الكلام تستولي على قلوب السامعين عن طريق الخطابة إجادتها مرجعهم في ذلك صحيفة بشر بن المعتمر وهذا مؤشر للاهتمام بتلك الصحيفة .
4- الجاحظ خدم البلاغة العربية من خلال كتابه البيان والتبيين حيث وضع قواعد البيان . أما كتابه الحيوان فيه إشارات للحقيقة والمجاز والبديع بأنواعه المختلفة ونفذ إلى ما سماه " المذهب الكلامي " ولهذا يعد مؤسس للبلاغة العربية .
5- نشاط المتكلمين كان واسعاً وطغى على نشاط اللغويين في البحث البلاغي .
6- بروز بيئة جديدة في مجال البلاغة في أواسط القرن الثالث للهجرة تتخذ الفلسفة اليونانية ومعاييرها في البلاغة أساساً في تقدير القيم البيانية للكلام مما جعل البحتري يشكو منهم ، وأدى إلى ظهور طائفة من الشعراء المتفلسفة الذين أدخلوها في شعرهم منهم بشار وأبو تمام وغيره من الشعراء فهذا مؤشر آخر لدراسة مستقبلية .
7- قدامة بن جعفر أخضع البلاغة العربية للاصول اليونانية كتابه نقد الشعر مستمد من منطق أرسطو وأضاف إلى الفنون البلاغية ثلاثة

عشر فناً بلاغياً . وقد جرى مجراه سليمان بن وهب في نقد النثر فأوغل في التأثر بأرسطو في كتابية الخطابة والشعر . وهذا مؤشر آخر لدراسة مستقبلية وقد مزج في كتابه بين عقيدته الشيعية ومعارفه الكلامية .

8- نشاط المتكلمون لم يقف عند حد البيان بل أمتد إلى تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم مثل كتاب النكت في إعجاز القرآن للجرجاني وإعجاز القرآن للباقلاني . وهو مؤشر آخر للاهتمام بهذين الكتابين .

9- معرفة الأسباب التي أدت إلى جمود وركود وتعقيد في الأدب بنوعيه الشعري النثري وإنعكاس ذلك على البلاغيين بعد عبد القاهر الجرجاني وهذا يدعو إلى التعمق أكثر في تحليل النصوص الأدبية دون العناية بالمباحث المنطقية والفلسفة الكلامية والنحوية الكثيرة التعقيد .

## 8/4- المقترحات : -

هنالك بعض التغيرات التي تغطي من خلال دراستي وعليه أضع بعض الرؤى لبحوث مستقبلية .
1- لم يهتم العرب في دراستهم في المباحث البلاغية بدراسة الأساليب والفنون الأدبية مثل المسرح والقصة . إذ صبُّ العرب عنايتهم بالكلمة والجملة ولعل قصدهم في ذلك تعليل بلاغة العبارة القرآنية .
المقترح : يدعو إلى معرفة الأسباب التي دعت العرب للاهتمام بذلك دون الاهتمام بالفنون الأدبية الأخرى مثل الشعر القصصي والمسرحي .
2- الاهتمام بدراسة صحيفة بشر بن المعتمرة باعتبارها مرجع ومؤشر لتأثر العرب بالثقافة الأجنبية .
3- دراسة لشعر الفلسفة عند أبو تمام وبشار بن برد على حسب الاتجاهات العقائدية عند الشاعرين .
4- البديع يعتبر ضرب من الفنون التصويرية وعليه يمكن أن يكون موضوعاً لدراسة البديع من خلال رؤى تشكيلية " واخص بذلك التشبيه بنوعيه والاستعارة بنوعيها " .
5- البيئة ساعدت على توافق ونمو الثقافات الأجنبية مع الثقافة الفارسية من خلال بلاغتهم والثقافة الهندية من خلال كتابات أبن المقفع .
6- لم يحظى كتاب نقد النثر بدراسة مستفيضة خاصة أن كاتبه كان شيعي وأثرت عليه عقيدته بالاضافة إلى التأثر الواضح بالثقافة الأجنبية .